عليهم السلام تنزيههم عن هذه النقيصة مسندا لدوام و
ثباتهم على التوحيد والايمان بل على اشراف انوار
المعارف ونفحات الطاف السعادة كما بينها عليه
في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل
احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفى ممن عرف
بكفر او اشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب
النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن
كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبيا
بكل فرية وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها و
واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة
ولم نجد في شيء من ذلك تعيير الواحد منهم برفضه
آلهته وتقريعه بذمه ترك ما كان قد جامعهم عليه
ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه
في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان
يعبد قبل افصح واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن ترك
آلهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على
الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان
لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة
وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله
عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن
هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم الآية

بقوله

وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به
ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ
منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به
ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك وغيره من الذنوب
هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد
اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا
حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما
تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشبه عليك بقول ابراهيم
في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا
في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل
لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين
الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل
الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي
قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال تعالى اين
شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا
اشرك بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم
واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
وقال الله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك
وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين

Copyright © King Saud University